جامعة محمد البشير الابراهيمي–برج بوعريريج بالتنسيق مع:
المركز الوطني للدراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ بجامعة الجزائر 02
مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية بجامعة المسيلة

أعمال الملتقى الوطني

المجاهد الـمؤرخ جمال قنان سيرة ومسيرة (1936-2021)

يوم: 07 ماي 2024

تنسيق وإشراف

د/ سمير بن سعدي
د/عمر جبري
د/ بوبكر صماري
د/ الطاهر خالد

الرئيس الشرفي للملتقى

الأستاذ الدكتور: بوضرساية بوعزة– مدير الجامعة محمد البشير الابراهيمي – برج بوعريريج

رئيس الملتقى

د/ عمر جبري

رئيس اللجنة العلمية

د/ سمير بن سعدي

رئيس اللجنة التنظيمية

د/ بوبكر صماري

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

– جامعة محمد بوضياف بالمسيلة–

حي إشبيلية، ص ب 190 ولاية المسيلة–الجزائر

– جميع الحقوق محفوظة –

العدد 15 السداسي الأول 2024

تاريخ النشر: جوان 2024

abdalah19@yahoo.com

virtuelcampus.univ-msila.dz/lerra2

https://www.facebook.com/profile.php

066.632.793

إن الأعمال الواردة في هذا الكتاب تعبر حصريا عن رأي أصحابها وتحت مسؤولياتهم

ولا تمت بأي صلة بتوجيهات آراء هيئات ولجان الملتقى

رقم الإيداع القانوني: السداسي الأول 2024

ISBN: 978-9931-899-04-4

جمال قنان وأدواره الفاعلة في الثورة التحريرية

✍أ. د/ عبد الله مقلاتي
مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة المسيلة
abdalah19@yahoo.com

مقدمة

في التاريخ الراهن يحاول المنتصر في الثورات والمعارك أن يكتب التاريخ، ويختفي الفاعلون الحقيقيون في الظلال المهمشة، ومع مرور الوقت تتجلى للمؤرخين الحقائق، وفي حالة الثورة الجزائرية تعرضت كثير من النخب الفاعلة للإقصاء، ومن بينهم جمال قنان والسعيد عبدالحي ورجال قاعدة تونس الذين خطوا بداية الثورة في تونس بالتنسيق مع ابن بلة وقادة الأوراس، والذين تم إقصائهم من قبل قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ عام 1957، بفضلهم ذاع صيت الثورة الجزائرية وارسي نظامها وعمت أفكارها، وللأسف لم نكتب شيئا عن نضالهم الذي كان حاسما خلال الثورة، مثلما هو الحال بالنسبة لجمال قنان، وخاصة وأنه تعرض للتهميش مرة ثانية بعد الانقلاب على ابن بلة، وفضل هو أن يعيش بعيدا عن الأضواء، وخلال السنوات الأخيرة كان بالإمكان الاستعانة بشهادته وبمصادر متنوعة وثرية لإعادة استيضاح سيرته وبيان أدواره الفاعلة في الثورة التحريرية، وهو ما نحاول الاجتهاد فيه من خلال هذه المداخلة المتواضعة.

1 . مسيرة قنان طالبا ومناضلا

ولد جمال قنان بعين تاغرورت ولاية برج بوعريج، من عائلة قبائلية تنحدر من شمال الولاية بني ورتيلان، رأى والده أن يهاجر إلى بلدة عين تاغرورت التي تتيح فرصا للشغل وتسمح بتعليم ابنائه، درس جمال المرحلة الابتدائية بمسقط

رأسه، كما تعلم في المسجد مبادئ القرآن وحفظ القرآن الكريم، وكان طموحا لمواصلة دراسته، حيث انتقل إلى قسنطينة للدراسة بمعهد ابن باديس، وخلال سنوات الدراسة وفي قسنطينة نضج طموحه السياسي وتشبع بقيم الوطنية والإسلام التي غرسها شيوخ المعهد في طلابه، ويذكر قنان أن خلية للطلبة تابعة لحزب الشعب نشطت في المعهد وكان لها الفضل في تكون شخصيته السياسية، حيث آمن بفكرة الاستقلال والتضحية من أجل استقلال وطنه المغتصب،

كما أن أفكار ابن باديس والعربي التبسي وشيوخ المعهد أسهمت في تكون أفكاره واتجاهه العربي الإسلامي الذي طبع أفكاره ومبادئه الهوياتية والإيديولوجية [1].

2 . قنان والالتحاق بالثورة في تونس

لما اندلعت الثورة استبشر بها قنان خيرا، كانت حدثا كبيرا في تغيير مسيرته، عايش إحداثها ويومياتها وكله شوقا للالتحاق بصفوفها، في تونس وفي بلدته عين تاغرورت بدأت إجراءات الإدارة الفرنسية تدفع بزملائه من الطلاب للالتحاق بالثورة، فقد كان قنان مع رفاقه طلبة الزيتونة تحت الرقابة الإدارية الفرنسية.

اجتهد قنان في الالتحاق بالثورة في الداخل دون جدوى، وعندما لم يجد اتصالا بالمجاهدين قرر البحث عن اتصال بالثورة في تونس، وهو ما تجسد في صيف عام 1955 حيث انخراط في الثورة، وذلك بواسطة أحد عناصر عبدالحي السعيد الذي التقى به في متجر وأدار معه حوارا حول الثورة الجزائرية معبرا له عن رغبته في الالتحاق بالثورة، وفعلا التقى بعبد السعيد السعيد مسؤول قاعدة الجبهة بتونس منذ جوان 1955، وعرض عليه رغبته فطلب منه تنفيذ عملية فدائية تتمثل في اغتيال أحد قادة الحركة المصالية، وتجاوب قنان مع المهمة، ولم تكن سوى اختبار لاستعداد الرجل للعمل الثوري، حيث ان رجال عبد الحي ابلغوا

1 شهادة جمال قنان، مقابلة شخصية، الجزائر، 11 سبتمبر 2011.

مسؤولهم أن قنان كان جاهزا لتنفيذ المهمة ويستحق ان يكون جنديا في صفوفه، وشرع في العمل السياسي والتعبوي انطلاقا من قاعدة تونس، وأصبح أحد المقربين من عبدالحي ونائبا له، فكان يكلف بعدة مهام، منها ربط الاتصالات، والإشراف على الجالية الجزائرية [1].

لقد أصبح بعد فترة وجيزة إطارا في قاعدة تونس، بصفته مثقفا وطالبا على قدر عال من النضج السياسي، واختاره عبد الحي ليكون كاتبا ومساعدا رئيسيا له، حيث يتقن اللغتين العربية والفرنسية إضافة إلى الأمازيغية التي تسمح لعبد الحي أن يفهم ويتقرب من خلالها لجالية واسعة من العنصر القبائلي في تونس، وهكذا فقد عايش قنان مرحلة مهمة من تاريخ الثورة التحريرية، صنع فصولها ابن بلة وعبد الحي وشيحاني وعباس لغرور، وكان واحدا من رجال قاعدة تونس لجبهة وجيش التحرير الجزائري من جوان 1955 إلى مارس 1957.

3. نشاط قاعدة تونس ودور جمال قنان

إن اندلاع المقاومة المسلحة في تونس وتفجير ثورة التحرير الجزائرية خلفا تفاعلا شعبيا واسعا معهما من كلا القطرين خاصة سكان المناطق الحدودية، وقد لوحظ بداية عمل مسلح مشترك كانت الحركات الوطنية لأقطار المغرب العربي قد دعت إلى تنسيقه من أجل تعميم المعركة ضد الاستعمار المشترك، ومن هنا وجدت المقاوم التونسية بالمناطق الحدودية الجزائرية كل الدعم والمساندة من تموين بالسلاح والذخيرة، وحتى بالأفراد [2]، كما أن الثورة الجزائرية اعتمدت منذ اندلاعها الواجهة التونسية منطلقا للتزود بالسلاح، ووطد مصطفى بن بولعيد وباجي مختار اتصالاتهما مع المقاومة التونسية من أجل شراء

1 حديث مع العقيد عمار بن عودة، مجلة الجيش، تصدرها المحافظة السياسية للجيش الشعبي الوطني، الجزائر، العدد2 (نوفمبر 1984)، ص ص 18-19.

2 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

الأسلحة أو إهدائها خاصة بعد قرار توقيف الكفاح المسلح بتونس[1]، وأقدم عدد من الجزائريين المتطوعين في صفوف المقاومة التونسية وآخرون من رجال المقاومة التونسية على الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني بدلا من تسليم أسلحتهم إيمانا منهم بوحدة الكفاح المشترك [2].

وقد قام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني الذي كان يشرف على إيصال الأسلحة بتكريس كل الجهود والتنسيق مع المعارضة اليوسفية لإنجاح هذه المهمة، وكان أحمد بن بلة على اتصال وثيق بالقيادة المصرية التي قدمت كميات معتبرة من الأسلحة تم جمعها وتخزينها بليبيا على أن يتم نقلها بواسطة ثوار الأوراس بالتعاون مع أنصار صالح بن يوسف إثر اتفاق بن بلة مع بن يوسف للاستعانة بالتونسيين في إدخال الأسلحة وإيصالها إلى الحدود الجزائرية التونسية، وتكثفت الاتصالات بين المعارضة التونسية وقادة الأوراس بغرض تأمين وصول الأسلحة" [3].

وفي هذا السياق تم تأسيس قاعدة تونس برئاسة عبد الحي لسعيد في جوان 1955، بهدف تنظيم الجالية في تونس وإيصال السلاح ودعم الثورة، وبخصوص موقف بورقيبة وأنصاره من نشاط الثوار الجزائريين فقد كانوا غير مرتاحين للتعاون القائم بين الجزائريين والمعارضة اليوسفية ويتبرمون من الفوضى والمشاكل التي يثيرونها فوق التراب التونسي، واشتكت حكومة بورقيبة من تعدد المتحدثين باسم الثورة، وكان عبد الحي الأوراسي هو المسؤول العسكري عن تمرير الأسلحة بتونس أرسله شيحاني بشير بموافقة ابن بلة ولم يكن يتفاهم مع أنصار

1 الجنيدي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، ج1، مركز الوطني للتوثيق والصحافة والاعلام، , 1986، ص280.

2 عمار رخيلة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر، المجلد 01، العدد 01، (30جوان-1999)، ص 138.

3 الحميد زوزو: مصادر تاريخ الثورة الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد 110-111 (سبتمبر – ديسمبر 1995)، ص 22.

بورقيبة [1]،

وفي بداية سنة 1956 طلب المسؤولون التونسيون من جماعة جبهة التحرير الوطني بالداخل إيفاد مسؤول يسوي المشاكل القائمة بتونس، فكلف عبان رمضان حامد روابحية للسفر ومعاينة الوضع هناك، فوصل هذا الأخير إلى تونس في مارس 1956 واتصل بالوزيرين الباهي الأدغم والطيب المهيري، الذين اشتكيا له تعامل الجزائريين مع المعارضة وشرحا له ما ينتظره المسؤولون التونسيون من قيادة الثورة ملخصا في أمرين:

- أن يتخذ الثوار الجزائريون الشريط الحدودي التونسي قاعدة خلفية للاستراحة وألا يحولونه إلى ساحة قتال مع الفرنسيين.

- أن يلتزموا الحياد بخصوص الخلاف الدائر بين أنصار بورقيبة وأنصار ابن يوسف.

وعليه اتصل روابحية بالمسؤول العسكري عبد الحي الأوراسي وقدمه للمسؤولين التونسيين على أن يكون المتعامل الرسمي مع الحكومة التونسية، إلا أن هذه الأخيرة اشتكت مرارا من استمرار تعاون عبد الحي مع المعارضة، ومن إثارته للمشاكل بتونس وطلب عبان رمضان من روابحية وآيت احسن الالتحاق بتونس كممثلين لجبهة التحرير الوطني، وعند وصولهما إلى تونس في ماي 1956 رفض عبد الحي وجماعة الأوراس الاعتراف بهما بحجة أنهم يأتمرون بتوجيهات الوفد الخارجي، وإثر خلافات عديدة أقدم عبد الحي على سجن مبعوثي الداخل، وتدخلت القوات التونسية لتفرج عن روابحية وآيت احسن واعتقلت عبد الحي وجماعته [2]، ومثل هذا الإجراء للسلطات التونسية اعتبره البعض تدخلا في

1 شهادة إبراهيم مزهودي بـ محمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص 301.

2 شهادة حامد روابحية بـ محمد عباس: المرجع السابق، ص 246 وما بعدها. وأحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 ص 185.

شؤون الجزائريين، في حين كانت تهدف منه إلى إنهاء الفوضى وفرض الاحترام إثر ظهور الخلاف بين جماعة الداخل والوفد الخارجي بقاعدة تونس.

إن الصراع بين الداخل والخارج تكرس إثر إيفاد الأمين دباغين إلى القاهرة وتكليفه بالإشراف على البعثة الخارجية، وكانت مسألة مع من يتم التعامل السياسي في تونس محل خلاف بين ابن بلة ومحمد خيضر المتمسكين بمبادئ لجنة تحرير المغرب العربي وبين دباغين المقتنع بأن التعامل مع أنصار بن يوسف قضية خاسرة بعد أن سيطرت الحكومة التونسية على الوضع، وكان المسؤولون التونسيون قد عقدوا اجتماعات مع دباغين وتوفيق المدني بالقاهرة، عبروا فيها عن استعداد الحكومة التونسية للتعامل مع الجزائريين وتقديم مساعداتها لتمرير الأسلحة بدل الاعتماد على المعارضة [1]، وتقرر خلال اجتماع البعثة الخارجية للجبهة في أوت 1956 تأكيد ضرورة التعامل مع الحكومة التونسية والوصول معها إلى اتفاقية تعاون لتمرير الأسلحة، وكلف بن بلة لتعيين مسؤول جديد على قاعدة تونس للتكفل بأمر السلع [2]، فعين أحمد محساس – أحد الموالين له – كمسؤول لجبهة وجيش التحرير الوطني بتونس.

وعندما انعقد مؤتمر الصومام تمت مناقشة الوضع العام بالمغرب العربي وأكد على ضرورة تفعيل التنسيق الحكومي والشعبي مع تونس، وعلى صعيد الوضع العسكري تم التعرض لمسألة التسليح والتموين وأسباب عدم وصول الأسلحة لولايات الداخل واتخذت قرارات هامة للتكفل بمهمة تمرير الأسلحة وأرسل عمار بن عودة إلى تونس للقيام بهذه المهمة [3].

استطاع محساس أن يكسب ثقة وحدات جيش التحرير الوطني بمناطق الحدود الشرقية لكنه لم يستطع أن يوطد نظام تلك الوحدات المتفرقة التي

1 أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 148.

2 نفسه، ص 186.

3 شهادة عمار بن عودة بـ محمد عباس: ثوار ...عظماء، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 94.

تقوت بالسلاح وتريد الاستقلال عن الولايتين الأولى والثانية فأقر محساس إنشاء القاعدة الشرقية كقاعدة لتمويل الثورة بالسلاح، وكسب حوله قائدها عمار يوغلاز، وأقام علاقات وطيدة مع بعض المسؤولين التونسيين غير أن حكومة بورقيبة لم تكن تقدم له دعمها إلا مقابل القطيعة مع عناصر المعارضة اليوسفية وفرض احترام الجزائريين للسيادة التونسية [1].

وإثر التحاق ابن عودة للقيام بمهمته في تونس اجتمع بمحساس وبوقلاز ووجد إعراضا منهما وكانت حادثة اختطاف ابن بلة ورفاقه في هذه الفترة قد جعلت محساس يتمسك بمسؤولياته ويعارض مبعوثي لجنة التنسيق والتنفيذ [2]، فالتحق ابن عودة بليبيا واستطاع استمالة مسؤول مخازن الأسلحة بها محمد الهادي عرعار وباشر مهمة نقل الأسلحة إلى تونس وأدخل أول شحنة بنجاح في اتجاه الحدود الشرقية، ويذكر ابن عودة أنه عقد اجتماعا مع بوقلاز وشريط والهامل بتونس في 3 نوفمبر 1956 وأقنعهم بالعمل معه [3]، غير أن هذه الجماعة كانت موالية لمحساس وسرعان ما استجابت لتأييده في معارضة لجنة التنسيق والتنفيذ إذ طالبت في اجتماع لها في ديسمبر 1956 بإبعاد ابن عودة ومزهودي عن تونس موضحة بأنها ستتكفل بإيصال الأسلحة إلى الداخل وعارضت قرارات مؤتمر الصومام [4].

إن هذا الوضع بتونس سبب مشاكل للحكومة التونسية واعتبرته لجنة التنسيق والتنفيذ خروجا عن طاعتها وانتقل الأمين دباغين في ديسمبر 1956 إلى

1 محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الواقع والأسطورة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1983، ص 160، ويشير إلى أن السلطات التونسية أوقفت خلال هذه الفترة طالب العربي قائد وحدات واد سوف بحجة أن تصرفاته أثارت السكان التونسيين.

2 شهادة عمار بن عودة بـ محمد عباس: المرجع السابق، ص 95.

3 نفسه، ص 96.

4 أورد فتحي الديب وثيقة محضر اجتماع قادة القاعدة الشرقية وأوراس النمامشة، ينظر فتحي الديب: المرجع السابق، ص ص 673-674.

تونس ليشرح للمسؤولين التونسيين حقيقة الوضع، ويفند افتراءات محساس وطعنه في قرارات مؤتمر الصومام، لكنه وجد التونسيين مترددين في اختيار الموقف ويناورون لكسب الورقة الرابحة [1]، وأرسل أوعمران [2] لمعالجة الوضع المتردي بتونس والاتصال بالحكومة التونسية كمسؤول عن الجبهة فوجد التونسيين مستعدين للقبول به كمحاور قصد إعادة النظام وفض المشاكل التي تسبب فيها محساس وجماعته.

وتصدى أوعمران لهذا الوضع الذي كان حرجا بالنسبة للثورة الجزائرية وللحكومة التونسية، واستطاع بكل حزم السيطرة على الموقف واعتقل محساس وجماعته وفرض النظام على الحدود الشرقية، وكما سهلت السلطات التونسية هروب محساس من سجنه أخذت بيد لجنة التنسيق والتنفيذ في فرض سيطرتها على الموقف بتونس، وقد ساعدتها في اعتقال عبدالحي السعيد وجماعته وقادة الاوراس والنمامشة، ومن ثمة محاكمتهم والتخلص منهم [3].

كان جمال قنان شاهدا على أحداث المرحلة وتفاعلاتها، ملتزما بموقفه في دعم قائده عبد الحي وتحالفاته مع ابن بلة وعباس لغرور في وجه زعماء الداخل الجدد، وبسبب ذلك اعتقل وهمش، ولولا قدر الله لأعدم مع رفاقه، لكن عميروش انفضه وأرسله في مهمة للداخل.

في بداية مساره النضالي كلف قنان بتوعية وتجنيد الطلبة الزيتونيين رفاقه، فقد كان ابن بلة اتفق مع عبدالحي على إرسال دفعة من طلاب الزيتونة للقاهرة من أجل التدريب والعودة للجهاد، وفعلا تكفل قنان بمهمة الاتصال بالطلاب

1_توفيق المدني: المرجع السابق، ص 336.

2_عمر أوعمران (1919 – 1992) ولد بمنطقة القبائل وناضل في حزب الشعب، حكم عليه بالإعدام إثر حوادث 8 ماي 145، عين مساعدا لكريم بلقاسم منذ اندلاع الثورة التحريرية ثم قائدا للولاية الرابعة في أوت 1956، أرسل في بداية سنة 1956 لتنظيم قاعدة تونس ونصب مكلفا بالتسليح والتموين من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ وبعدها كلف بتمثيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في لبنان وتركيا.

3_محمد حربي: المرجع السابق، ص 160.

وتوعيتهم وقد انتخبوه رئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، مما مكنه من القيام بالمهام الثورية كما أملاها عليه عبدالحي، حيث تم تجنيد نحو عشرين طالبا من أجل الذهاب للمشرق العربي، وبذل قنان وعبدالحي جهودا مضنية من أجل تسفيرهم عبر ليبيا الى مصر بالتنسيق مع الحزب الدستوري الحر، لكن الأخير وبتوجيه من بورقيبة تراجع عن تسفيرهم وأعادهم من الحدود الليبية إلى العاصمة تونس، وفيما بعد تمت الاستعانة بجناح صالح بن يوسف من أجل تسفير الطلبة، وكانت قطيعة حادة في العلاقة مع بورقيبة عبر عنها عبدالحي في لقائه مع بورقيبة [1]، كما يعود الفضل لقنان في تجنيد كثير من الطلبة وإرسالهم للخارج وللداخل مثلما يذكر محمد الطاهر بوزغوب، الذي أرسل عبر قاعدة تونس إلى القائد الأوراسي عباس لغرور [2].

ومن المهام الرئيسية التي تكفل بها قنان مع عبد الحي وأحمد راشدي هي تنظيم الجالية الجزائرية في تونس وتفعيل دورها في دعم الثورة، حيث كان قنان مفيدا في كسب شريحة العناصر والعائلات القبائلية المتواجدة بكثرة في تونس، وبينهم رؤساء مشيخات مثل مسعود المقراني وايت شاوش وناجي قبي وأطباء وصيادلة وتجار وفلاحين، ويذكر قنان أن المهمة في هذا الإطار كانت شاقة ومضنية، حيث اتصلوا بالتنظيم الإداري المعمول به في تونس وضمنه مشيخات جزائرية،

1 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها

2 شهادة محمد الطاهر بوزغوب في حصة تلفزيونية بقناة الذاكرة، 12 ماي 2024

محمد الطاهر بوزغوب ولد بقرية الماين ولاية برج بوعريريج، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العلوم في مسقط رأسه، درس بالزوايا ومدرسة جمعية العلماء، ودرس في معهد ابن باديس بقسنطينة، وفي عام 1954 انتقل إلى الزيتونة لإكمال دراسته، نشط في دعم الثورة التحريرية وتنظيمها الطلابي، واختير بداية عام 1957 ليكون عضو بعثة لدراسة الطيران في سوريا، أكمل دراسته، وطلبت منه قيادة الثورة إتمام تكوينه في أرقى المدارس الدولية، مما جعله يكون مؤهلا لخدمة وطنه، وضع تحت تصرف قيادة هيئة الأركان وكان مقربا من بومدين، وفي يوم الثاني نوفمبر 1962 كان ضمن السرب الذي حلق فوق مدينة الجزائر احتفالا بأول ذكرى لاندلاع الثورة في عهد الاستقلال. واصل خدمته في قطاع الطيران ورقي إلى رتبة عقيد، وكلفه بومدين بعدة مسؤوليات في الحزب والدولة.

هي من زودتهم بكامل المعلومات عن أفراد الجالية الجزائرية، تم التواصل معهم لأجل تنظيمهم جمع الاشتراكات والاستعانة بهم في خدمة تنظيم الثورة بتونس، وأصبحت بالفعل قاعدة تونس بمثابة دولة داخل دولة، الاشتراكات تصل بانتظام التعليمات تصل والتجاوب فعال، وهكذا نجح عبد الحي في إرساء تنظيم قاعدة تونس القوي في تونس، فأي جزائري يدخل تونس يتم التعرف عليه خشية أن يكون مندسا أو عميلا للمستعمر، ويتم تحييده، في هذا الإطار حاولت الحركة المصالية وحاول رجال عبان السيطرة على الوضع في تونس من دون جدوى [1].

كما تكفل قنان بتموين وتسليح الثورة، كان يتولى جمع الأموال من الجالية، ويتكفل بشراء قطع السلاح من تونس وإرسالها للداخل، وتسهيل عبور قوافل السلاح من ليبيا عبر شبكات تمرير السلاح إلى العاصمة تونس وإلى الداخل، كما كان يتولى توفير الوسائل والأجهزة التي تحتاجها الثورة في الداخل، في البداية كانت ترسل للأوراس، وفيما بعد أصبحت توجه للولاية الثالثة والثانية والقاعدة الشرقية [2]، وفي السياق ذاته تفيدنا شهادة رفيقه عبدالرحمان الشريف الذي قاد بدوره خلية لشراء السلاح أن المهمة كانت حيوية، ويديرها عبدالحي وهالي عبدالكريم، وأفادت في شراء كميات معتبرة من السلاح وإرسالها للداخل [3].

وتولى جمال قنان مهمة الاتصال مع الخارج، وهي المهمة الموكلة لعبدالكريم هالي ولآخرين، وغالب هذه الاتصالات تكون مع ابن بلة في طرابلس، فعندما حدثت مشكلة محاصرة مقر قاعدة تونس بالدندان كلفه عبدالحي بإبلاغ ابن بلة بالأمر، وفعلا سافر إلى طرابلس والتقى به في بداية أكتوبر 1956، وابلغه بأن بورقيبة مستعينا بقوات الدرك الفرنسي هاجم مقر القاعدة في محاولة لاعتقال عبدالحي، وقد ابلغه ابن بلة بقرار تعيين محساس مسؤولا عن جبهة التحرير الوطني في تونس

1 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

2 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

3 شهادة عبد الرحمان الشريف في حوار لمحمد عباس، جريدة الشروق الجزائر، عدد يوم 1 . 06. 2010

وبقاء عبدالحي مسؤولا عن الجيش وقاعدة تونس [1]، ولأنه موضع سر عبدالحي وساعده الأيمن كان يتنقل معه لقضاء الحاجات ومراقبة المراكز ويستشيره في كل صغيرة وكبيرة، وقد أرسله مرة الى عباس لغرور في القلعة بالنمامشة ليكون عضوا في لجنة التحقيق في اغتيال جبار اعمر، ولكن قادة سوق اهرس منعوه من تأدية مهمته وكادوا يجهزون عليه لولا تدخل لزهر شريط، الذي يكن له احتراما وتقديرا لأنه أنقض حياته، وكان الخلاف على أشده بين عباس وقادة سوق اهراس والنمامشة، وكان قنان شاهدا على المواجهة المسلحة في فيلا لاكانيا في سبتمبر 1956 [2].

وفي إحدى مهماته الاتصالية بابن بلة اعترضته القوات التونسية، وكانت على اطلاع بدوره الرئيسي في قاعدة تونس، لكنه كان مسلحا وتمكن من الإفلات منها، واستعان بوالد عز الدين عزوز واليوسفيين في دخول ليبيا ولقاء ابن بلة [3].

4. قنان في قافلة سلاح إلى داخل الوطن

بعد حادثة فيلا لاكانيا وتدخل القوات التونسية لاعتقال عبدالحي ورفاقه دخل قنان خفية إلى تونس بعد انتهاء مهمته في ليبيا، وجد وضعا جديدا قد تغير، ولم يرتح لتصرفات المسؤول الجديد للثورة احمد محساس، كان اعتقال عبدالحي ورفاقه في بداية اكتوبر 1956، ومحاصرة عباس لغرور وسجنه، واعتقال لزهر شريط في مكيدة كلها تنم عن مؤامرة حيكت ضد جماعة ابن بلة من قبل قادة لجنة التنسيق والتنفيذ، حاول التنسيق مع رفاقه ومنهم الطاهر بن عيشة وعبدالرحمان الشريف من أجل التنديد باعتقال عبدالحي ورفاقه وحرروا بيانا في هذا الشأن [4]، وقد اجتهد في دفع محساس لإطلاق سراح مسؤوله عبدالحي

1 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

2 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

3 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

4 شهادة الطاهر بن عايشة، محمد عباس: مثقفون في ركاب الثورة، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 83، وشهادة عبد الرحمان الشريف، سبق ذكرها.

دون جدوى، وفي إحدى المرات تهور قنان وقرر أن يذهب بنفسه إلى السجن لزيارتهم ومعه سلاحه، فسهل على السلطات التونسية اعتقاله في مبنى الأمن الداخلي التونسي، ثم نقل إلى سجن بالحدود التونسية ناحية جندوبة، وعندما علم عميروش بالأمر طالب بإطلاق سراحه باعتباره جندي من الولاية الثالثة، ودخل في ملاسنة مع بن عودة الذي أصر على اعتقاله ومحاكمته، وفي النهاية نجح اعميروش في تحريره، وقد قرر أن يرافقه مع زميله عبدالرحمان الشريف إلى جبال الرديف بالجنوب التونسي في مهمة الصلح والتفاوض مع الطالب العربي، كانت رحلة شاقة ومفيدة حيث شرح قنان لعميروش خطط رجال لجنة التنسيق لاعتقال واغتيال قادة التنظيم بتونس والأوراس والنمامشة، والذين لم يتبقى منهم سوى الطالب العربي الذي طلب منه الخضوع والاستسلام، ولم يتمكن اعميروش من إقناعه. وهو ما يشهد به قنان [1]. وعبد الرحمان الشريف [2]، وكذا الكاتب الخاص لعميروش حسين معلم [3].

وفي مارس عام 1957 أرسل قنان في كتيبة نقل السلاح الى الولاية الثالثة، حيث قرر عميروش أن يتدخل لإنقاذ عشرات المعتقلين في السجون، وصاح في وجه بن عودة واوعمران أن مكان هؤلاء ليس المعتقل بل إيصال السلاح للمجاهدين الذين يعانون الأمرين في الداخل، وربما كان ذلك بتوجيه من قنان لإنقاذ رفاقه المعتقلين، نجحت مهمة إطلاق السراح ولكن الطريق الى جبال الولاية الثالثة كان محفوفا بالمخاطر، حكى لي قنان هذه المغامرة المريرة [4]، وتحدث عنها رفاقه من الأوراس في شهادة مطولة لعبد الرزاق بوحارة نشرها في مذكراته، وخلاصتها أن كتيبة شكلت لنقل السلاح، عناصرها نحو مائتي وعشرة من المعتقلين والجنود، وستون من رجال الحراسة والإطارات من القاعدة الشرقية يقودهم

1 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

2 شهادة عبد الرحمان الشريف، سبق ذكرها.

3 انظر شهادته في مذكراته.

4 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

سليمان لاصو، مهمتهم إيصال شحنة سلاح الى حدود الولاية الثالثة بمنطقة البابور وبوقاعة، ولكن سليمان لاصو بعد اكتشاف القوات الفرنسية لتحركاته قرر العودة الى تونس وطلب من فريق الناقلين مواصلة المرحلة الثانية لوحدهم تحت مسؤولية حمو السطايفي وعلي عيادي، كان كل فرد يحمل بندقيتين وذخيرة بحجم ثلاثين كلغ، ورقابة القوات الفرنسية على تلك الدروب الوعرة شديدة، معانات الجنود كانت مضاعفة، خاصة وأنهم بعد تسليم الحمولة عادوا أدراجهم منزوعي السلاح وفي ظروف قاسية من التعب والخوف من انكشاف أمرهم، ووصلوا أخيرا الى مركز الزيتون داخل الحدود التونسية، وتمت إعادة هيكلتهم [1]، وقد كان مصير قنان بعد هذه المغامرة أن طلب منه السفر للقاهرة من أجل التكوين العسكري، لكن المهمة تغيرت فتحول لإكمال تعليمه العالي، واصل دراسته وتحصل عل شهادة اللسانس في التاريخ عام 1962، واستمر في نضاله السياسي إلى غاية الاستقلال في التنظيم الطلابي الذي أسسه منور مروش رفيق دربه في القاهرة وفي الجزائر المستقلة [2].

1 عبد الرزاق بوحارة **منابع التحرير**، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص 116. 120، حيث أشار إلى عدة شهادات أهمها علي عيادي، وذكر ان جمال قنان كان واحد من هؤلاء الذين تولوا بعد الاستقلال مسؤوليات في الدولة منهم الولاة والسفراء.

2 من مواليد منطقة برج الغدير قرب برج بوعريريج، ينتسب إلى أسرة محافظة حرصت على تعليم ابنها العلوم الشرعية واللغوية، تعلم في المدرسة الحرة ببرج الغدير، وأتم دراسته بتونس ما بين سنتي 1947. 1951، وانتقل في سنة 1952 إلى القاهرة لمواصلة دراسته، وهنا واصل نضاله السياسي والطلابي، وكان مناضلا في حزب الشعب ومؤسسا ورئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين بالقاهرة (1957-1955). انظم مبكرا إلى صفوف الثورة التحريرية، وتطوع في سنة 1957 للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، فأرسل إلى الجبهة الليبية ضمن فرقة الرائد إيدير، وأبقي عليه في طرابلس رفقة مصطفى الأكحل رغم إنهاء مهام الفرقة العسكرية، مما جعله يحس بأن هناك من يقف وراء تهميش العناصر غير المرغوب فيها، خاصة وأنه كان شديد المعارضة ومحسوبا على التيار البعثي ومناصرا لأحمد بن بلة، ثم حول الى الولاية الخامسة، وكلف بالاستعلامات خلال الفترة 1957. 1958، وعين في سنة 1958 عضوا بهيئة تحرير جريدة المجاهد إلى غاية عام 1962.

بعد الاستقلال عمل في الصحافة وكان مواليا لابن بلة، وبعد الانقلاب عليه كان من أبرز الوجوه المعارضة، حيث أسس منظمة المعارضة الشعبية لانقلاب 1965، وكان مؤمنا بالحزب البعثي وصديقا لميشال عفلق،=

5 . جمال قنان ومواصلة جهاد الاستقلال

يعد قنان من العناصر المقربة من ابن بلة، وأحد الاطارات السياسية التي شكلت سلطته رفقة زمرة متناسقة في الأفكار والتجارب، ومنهم رفاقه منور مروش، وعبد الرحمان الشريف رئيس ديوان ابن بلة والنقابي مولود بلهوان...الخ، حيث كلفه ابن بلة بتأسيس جهاز قوات الدفاع الذاتي، وهي هيئة موازية لهيئة الأركان العامة سرعان ما حاول بومدين إفشال دورها وخاصة بعد تفجير باخرة ذخيرة بعنابة كانت موجهة للتنظيم الجدد.

وكلف قنان بمهمة دعم حركات التحرر العالمية، حيث كان يشرف على شبكات دعم حركات التحرر العربية والإفريقية والدولية، رفقة جلول ملائكة وآخرين، وعلى رعاية شؤون المعارضين السياسيين العرب والأفارقة، وخاصة الإخوة التونسيين والمغاربة والفلسطينيين، وقد وضع ابن بلة تحت تصرفه كل الامكانيات، بما في ذلك الأموال والمقرات والأسلحة، وخاصة إسكانهم في فيلات محمية بحيدرة، ومن المعلومات المهمة التي أدلى بها المناضل التونسي عبدالحكيم المبروك رفيق درب المناضل إبراهيم طوبال أن المنزل التي سكنه واستفاد من ملكيته طوبال لم يقدم له من قبل هواري بومدين بل كان ملكا لجمال قنان سلمه له ابن بلة، وآثر قنان أن يضعه تحت تصرف طوبال ثم أصبح ملكا لعائلته بعد مدة [1]، هذه المعلومة المؤكدة لم يتسنى لي أن أسأل بشأنها قنان، وهو المناضل الملتزم النزيه الذي تخلى عن فيلته بحيدرة وسكن شقة متواضعة على ملكية زوجته التي تشتغل بقطاع التربية.

=واصل دراسته في فرنسا وحاز على شهادة الدكتوراه من جامعة السربون سنة 1976، وذلك بتقديم أطروحة حول تاريخ الجزائر في العهد العثماني، عاد للجزائر ودرس فترة بجامعة الجزائر، ثم رجع الى فرنسا واستقر بها أستاذا جامعيا وباحثا، وهو إلى غاية اليوم يشتغل أستاذا جامعيا، ويحضر الملتقيات والندوات.

1 سمنار الذاكرة الوطنية حول المناضل ابراهيم طوبال، اعداد مؤسسة التميمي ونشر في المجلة التاريخية المغاربية، تونس، عدد 135 / جويلية 2009، ص 202.

احتضن قنان إبراهيم طوبال ورفاقه ومنهم عبدالحكيم المبروك وقد عاشرهم لسنوات في القاهرة، وكان مثل ابن بلة مؤمنا بوحدة المغرب العربي ومناهضة الأنظمة الامبريالية في تونس والمغرب، في هذا الإطار دعم قنان المعارضة المغربة التي لجأت للجزائر وتعرف على المهدي بن بركة واسعيد بونعيلات ومحمد البصري وايت يدر ..الخ، وبتوجيه من ابن بلة قدم لهم فيلات وسيارات ومراكز عسكرية وسهل استقبال المعارضين المغاربة، كما استقبل قنان القادة الفلسطينيين بالجزائر وعلى رأسهم ياسر عرفات وكان شاهدا على تأسيس مكتب فتح بالجزائر، وكذلك الأمر بالنسبة للقادة الإفريقيين ومن كوبا وأمريكا اللاتينية، ومنهم عثمان السبي مؤسس حركة التحرر الأرتيرية الذي عرفه رفقة عيسى مسعودي في القاهرة، ومن كل ذلك يتبين لنا أن قنان كان فاعلا في جعل الجزائر قبلة لأحرار العالم.

وبعد الانقلاب على ابن بلة كان طبيعيا أن يكون قنان من أبرز المعارضين، وبعد فترة تواصل معه الرئيس بومدين بواسطة صالح بوبنيدر لاستمالته، واقترح عليه أن يطلب أي منصب يتمناه، ولكنه اختار أن يطلب فقط منحة دراسية لاستكمال دراسته في التاريخ، حيث سافر إلى فرنسا وعكف سنوات في الأرشيفات الفرنسية، أسهم بكتبه في إماطة صفحات مطوية من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر [1].

خاتمة:

من خلال ما تناولناه من أدوار فاعلة لجمال قنان في الثورة نخلص إلى ما يلي:

لقد كان قنان مناضلا ملتزما وطنيا صادقا، من عائلة بسيطة آثر بصدق أن يتجند لخدمة وطنه وخدمه بتفان سنوات عمره.

1 شهادة جمال قنان، سبق ذكرها.

أسهم قنان في إرساء تنظيم قاعدة تونس خلال السنوات الأولى للثورة، ودافع عن المواقف والمبادئ التي تبناه رجال أول نوفمبر الأوائل، وخاصة ملهمه السعيد عبد الحي.

تحول قنان من تونس للقاهرة عام 1957، حيث كتب له القدر مسارا جديدا في التعليم والنضال الطلابي، وتشبع بالأفكار القومية والعربية.

لقد خدم قنان بلده في بداية الاستقلال مع رفيقه ابن بلة، وواصل تعليمه ونضاله من أجل وطنه، وظل متمسكا بمبادئه وقيمه مناضلا وأستاذا معلما.